مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830

المجلد السادس / العـدد:الاول
(ذو القعدة 1443 /جوان 2022)، ص 81–100

قراءة تربوية في وظائف الكتاب المدرسي من وجهة نظر الباحثين

An Educational Reading of the Functions of the Textbook from the Point of View of Researchers

د. لالوش صليحة[1]

Dr. Lallouche Saliha

[1] جامعة الجزائر(2) أبو القاسم سعد الله، مخبر تعليم –تكوين –تعليمية– المدرسة العليي للأساتذة بوزريعة
saliha.lallouche@univ-alger2.dz

University of Algiers (2) Aboul-Elkacem Saadallah, Labo Teaching - Formation – Didactics – Teachers' Superior School Bouzeria,
saliha.lallouche@univ-alger2.dz

المؤلف المرسل: لالوش صليحة/Lallouche Saliha الإيميل: salihalallouche@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: 2022/09/15 تاريخ القبول: 2022/03/03

ملخص:

إذا كان المتعلم هو محور العملية التربوية، فالكتاب المدرسي يعتبر سندا بيداغوجيا موجه لجمهور معين سواء، كان المعلم أو المتعلم، إذ يعد مرجعا يستقي منه المتعلم المعلومات والمعارف، يقدم له عدة تسهيلات، من أجل بناء معارفه وتعلماته، وبالتالي تسهيل العملية التعليمية – التعلمية، لهذا كان محل اهتمام الكثير من الباحثين في مختلف الدول، وعليه نقترح هذه الورقة البحثية بهدف التعرف على الرؤية التربوية لمفهوم الكتاب المدرسي، وأهم وظائفه من وجهة نظر الباحثين.

كلمات مفتاحية: الوظائف، الكتاب المدرسي.

Abstract:

If the learner is at the center of the educational process, then the textbook is seen as a teaching aid for a specific audience, be it the teacher or the learner. This is why it has interested many researchers in different countries. This research paper comes in order to identify the educational vision of the concept of textbook, and its most important functions from the point of view of researchers.

Keywords: Functions; Text Book.

1. مقدمة :

كان التواصل الإنساني مقصورا على المشافهة بين الأفراد والجماعات، ولكن باختراع الكتابة بدأت أهم حلقات الحضارة البشرية من خلال تدوين الفرد ما يريد نقله إلى الآخرين، وكذلك تدوين خبراته وأفكاره، ومن نتائج ذلك، اختراع الكتاب الذي يعد من أهم الاختراعات التي عرفتها البشرية في مجال نشر المعرفة وتخزينها، وإذا كان الكتاب أهم الاختراعات في الفكر الإنساني، فإن الكتاب المدرسي يعد من أهم الابتكارات في مجال التربية"[1].

مما لا شك فيه أن الكتاب المدرسي يعد ركن من أركان العملية التعليمية – التعلمية، ووسيلة لتقديم الحقائق بطريقة منظمة للمتعلم، كما يعتبر عنصرا موحدا للمعارف بين صفوف المتعلمين إذ أنه "رفيق للمتعلم في كل أوقاته، وحسب قدراته، هو نوع من أنواع التعلم الفردي"[2]. وأهميته تكمن في مقدار ما يتركه من معارف، وخبرات، وآثار على المتعلم في العملية التعليمية– التعلمية.

ومن السمات والخصائص التي تميز الكتاب المدرسي عن أنواع الكتب الاخرى، أنه مؤلف خصيصا لتعلم التلميذ، فهو يكتسي أهمية بالغة في النظام التربوي، لا يمكن إنكاره، ولا الاستغناء عنه، وهذا ما أكدته دراسة أحمد مراشدة (2007) أن الكتاب المدرسي يستعمل "في 90% من وقت التدريس في الولايات المتحدة الأمريكية، لدى 90% من المعلمين، وهذا ما جاء في الدراسة التحليلية لإحدى عشرة دراسة منتقاة، شملت مختلف القطاعات الشعبية في الولايات المتحدة الأمريكية"[3]. أما دراسة "برونشويك وفاليريان (2005) أوضحت مكانة الكتاب المدرسي باعتباره أكثر الأدوات

فاعلية، وأقلها كلفة في تحسين نوعية التعليم والنجاح المدرسي، وخاصة على مستوى الأنظمة التي تشكو نقصا في أدواتها، ووسائلها التعليمية، وفي انخفاض كفاية معلميها"[4]، أما دراسة أحمد نور عمر، دلت أنه "يجب على مؤلف الكتاب المدرسي عند تخطيط كتابه أن يذكر دائما وظيفة الكتب المدرسية باعتبارها أدوات مساعدة في التدريس"[5].

وفي هذا السياق تتجلى أهمية الكتاب المدرسي من خلال الوظائف التي يقوم بها، وهي كثيرة ومتعددة، حسب ما أقرته الأدبيات التربوية كونه "مصدرا للمعرفة، وقريب المنال، سهل التعاطي، مؤكد الثقة، ووسيلة في يد التلميذ لاسترجاع الدروس، وأداة للثقافة. فكثير من مواقف الحياة يصعب مواجهتها بغير الرجوع إلى الكتاب"[6]، ولقد ساهم جمع من الباحثين في ابتكار وظائف متعددة للكتاب المدرسي أمثال ف، ريشودو Richaudeau, F (1986) ف، م، جيرار Gérard, F.M، ك، روجيرس Rogiers, X (2003)، آ، شوبان Choppin, A، إ، برويار Bruillard, E (2005)، ف، جونهار Joenaerd, PH (2009) وكذا رضوان أبو الفتوح (1962)... سنحاول أن نعرض البعض منها حسب اختلاف وجهات نظرهم، وذلك من خلال التطرق إلى الإطار المفاهيمي للكتاب المدرسي، ومختلف وظائفه.

2. الإطار المفاهيمي للكتاب التوضح عبير راشد عليمات (2006) أن الكتاب المدرسي هو "وسيلة فاعلة دعت إليها منهجية المعرفة البشرية، فهو ليس مجرد وسيلة مساعدة في التعلم فحسب، وإنما هو صلب العملية التعليمية وجوهرها"[7]، و توفيق أحمد مرعي ومُحَمَّد محمود الحيلة(2000) يريان أن الكتاب المدرسي "نظام كلي يتناول عنصر المحتوى في المنهاج ويشمل عدّة عناصر: الأهداف، المحتوى، الأنشطة والتقويم. ويهدف إلى مساعدة المعلمين والمتعلمين في صف ما، وفي مادة دراسية ما، على تحقيق الأهداف المتوخاة كما حددها المنهاج"[8]، أما منصور بن عبد العزيز سلمة، إبراهيم بن أحمد مسلم الحارثي(2006) يعرفا الكتاب المدرسي أنه "تفصيل إجرائي قصدي لاختيارات النظام التربوي وغاياته وأهدافه. كما أنه مستوى من مستويات تبرير هذه المقاصد والغايات. وهو جهد مندرج في تحليل الأبعاد الوطنية والإنسانية للعمل التربوي، في هذا الشكل يمثل أداة تعليمية – تعلمية، ووسيلة توجيه وتربية بالغة الأهمية"[9]، ويصرح جوهان لوبرا

وآخرون **Johanne Lebrun et autres** (**2006**) أن الكتب المدرسية "تعتبر كوسائل، تشترط بشكل واسع في العملية التعليمية – التعلمية، فهي بذلك تقوم بالدور المساعد، الضروري لسيرورة التعليم–التعلمي"[10].

نستنتج من منطلق التعاريف السابقة أن الكتاب المدرسي سند، وأداة بيداغوجية خاصة موجه إلى فئة معينة في متناول المتعلم، ويستعمله المدرس مع جميع المستويات، والمواد الدراسية وفق بناء تعليمي – تعلمي منظم، وهو مرتبط بالمنهاج.

3. وظائف الكتاب المدر

تتنوع وظائف الكتاب المدرسي باختلاف وجهات نظر الباحثين وتتمثل في:

1.3. الوظائف التي أدرجها كلا من ف.م، جيرار وك، روجيرس **Gérard, F.M، Rogiers, X** (**2003**): قسم كلا من الباحثين وظائف الكتاب المدرسي إلى قسمين، ميزا بين الكتاب المدرسي للتلميذ الذي يملأ الوظائف عندما يكون في حوزته، يختلف عن وظائف المعلم عندما يكون في يده الكتاب المدرسي، فيصبح إذن سندا تعلميا بالنسبة للمتعلم وتعليميا بالنسبة للمعلم وهو بهذا يؤدي وظيفتين تعليمية – تعلمية.

1.1.3.وظائف متعلقة بالمتعلم The learner's functions: إن "بعض الوظائف موجهة نحو التعليم المدرسي، والأخرى موجهة لتسمح بإحداث علاقة بين التعليم المدرسي ودمجها في الحياة اليومية والحياة العملية مستقبلا"[11].

1.1.1.3 وظائف متعلقة بالتعلم Learning functions:

أ) **وظيفة نقل المعرفة Knowledge transmission function**: هذه الوظيفة تعتبر وظيفة تقليدية، "حيث يحدد الكتاب المدرسي كل شيء للمدرس والتلميذ، فهو لا يشجع التلاميذ على التفكير ولا ينمي لديهم القدرة على النقد"[12]، لهذا الكتاب المدرسي يسمح بنقل المعارف عندما "يكتسب المتعلم معطيات خاصة، تصور، قاعدة، أسلوب، فعل، حدث، مصطلحات، إتقان... فالتلميذ لا يجب أن يكون قادرا فقط على إعادة المعلومات

مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830
المجلد السادس / العـدد:الاول
(ذو القعدة 1443 /جوان 2022)، ص 81–100

لكنه يكون قادرا في الكثير من الحالات على ممارسة المعرفة الفعلية (Savoir-faire) في المحتوى التعلمي"[13].

ب) وظيفة تنمية القدرات والكفاءات Developing abilities and competencies function: "إن الكتاب المدرسي لا يسمح فقط باستيعاب المعارف، ولكنه يهدف أيضا إلى العمل على اكتساب الأساليب والمواقف والعادات في العمل، وحتى الحياة، وهذا ما تنادي به المقاربة بالكفاءات. في اكتساب المعارف نركز على هدف تعلمي، ولكن في اكتساب القدرات والكفاءات نركز على النشاطات، واكتساب المعارف والقدرات. والكفاءات تعني القدرة على ممارسة بعض النشاطات في مواضيع التعلم المتعددة لاكتساب عدة مواقف"[14]. ولتنمية هذه القدرات، الأحسن أن تكون في مختلف الكتب المدرسية، والمواد المختلفة، كمادة التربية المدنية ومادتي التاريخ والجغرافيا، والرياضيات، العلوم...الخ، علما أن "القدرات هي الإمكانات والمواقف التي تسمح بتحقيق الكفاءات، والعدد الكبير التي تتم تنميته من القدرات في العملية التعليمية هي قدرات أو إمكانات معرفية وإمكانات اجتماعية وجدانية وإمكانات تقنية حركية"[15].

ت) وظيفة تدعيم المكتسبات Acquisitions consolidation function: و"يأتي هذا بعد تعلم معرفة أو معرفة فعلية، يجب تجسيده على مختلف الوضعيات و هذا هو دور التمارين والتطبيقات"[16]، يجب على الكتاب المدرسي أن "يشمل على الكثير من وسائل التدريب والتمارين والأسئلة الإسترجاعية والمشكلات التفكيرية، ولا يمكن إتقان أي باب من أبواب العلم من غير التدريب على هذه الوسائل"[17].

ث) وظيفة تقويم المكتسبات Acquisitions evaluation function: تعتبر هذه الوظيفة ضرورية في العملية التعليمية و"التقويم الذي يطبق في الكتاب المدرسي، لابد أن يكون تقويما تكوينيا، خاصة أنه يحدد معالجة مناسبة لصعوبات كل تلميذ بهدف تحسينه أو بساطة تحسين تقدمه، وتحديد مصدر صعوباته بالضبط. وذلك عن طريق تحليل أخطائه"[18] لتفاديها مستقبلا. وليس الهدف تحديد ما إذا كان مستوى ما اكتسبه كل تلميذ كافيا، وإنما تحديد البديل

الملائم للصعوبات التي يواجهها كل تلميذ، بتشخيص مواطن الضعف من خلال تحليل الأخطاء، أي "التقويم هو المفتاح لكشف وفهم الصعوبات والأخطاء التي يواجهها المتعلم في الموقف التعلمي، وبالتالي مساعدته على تنظيم وضبط معلوماته"[19]، بتقديم تصحيحات وتصويبات (التغذية الراجعة).

2.1.1.3. وظيفة توظيف المعلومة في الحياة اليومية والعملية Les Function of using information in Daily and practice life: وتنقسم إلى وظيفتين:

أ) وظيفة المساعدة على إدماج المكتسبات Fonction Help integrating acquisition function: نستطيع تعريف الإدماجية: أنها "عملية إدماج مجموعة من المعارف والسلوكات المكتسبة ضمن مجموعة الكفاءات القاعدية، المندرجة في سياق بناء الكفاءة المرحلية المرتبطة بمجال من المجالات المعتمدة في المنهاج"[20]، أو الكتاب المدرسي. وهذا يعني أن "البيداغوجية الإدماجية التي تتعلق بالعملية التعلمية هي قدرة المتعلم على تجنيد وإدماج القدرات والمعارف والنشاطات ومختلف المكتسبات بطريقة فعالة، وهذه العملية تهدف إلى إعطاء معنى للتعلمات واستغلالها في وضعيات ذات دلالة وهذا ما يسمى بإدماج المكتسبات"[21]، لكن هناك أوجه عديدة للبيداغوجيا الإدماجية المؤسسة على[22]:

- إقامة تمفصل بين التكوين النظري والتطبيقي.
- وضع نشاطات من أجل هيكلة مكتسبات ما قبل التعلم، مع منح المتعلم نقاط ترسيخ تسمح له بإقامة جسور معرفية تعطي معنى للتعلمات الجديدة.
- إعداد شبكة للمكتسبات المعرفية المختلفة، بدلا من فصلها عن البناء المعرفي للمتعلم وهذا ما سماه بياجي الملاءمة والتأقلم (Accommodation).
- العمل على ضوء مداخل عدة (اجتماعية، نفسية، اقتصادية وفلسفية) لمواجهة وضعية ما.

– تجنيد القدرات مثل التوثيق، تحليل وضعية، التقويم الذاتي، الاتصال مع مختلف المواد، من أجل تحكم أوسع وأعمق في هذه القدرات.

تعتبر وظيفة المساعدة على إدماج المكتسبات وظيفة أساسية ومكملة لتنمية القدرات والكفاءات، إذ يمنح الكتاب المدرسي فرصة توظيف المعلومات خارج السياق المدرسي، في حياته اليومية، وذلك من خلال المواضيع التي يقترحها والتمارين التي يطرحها.

وعليه الكتاب المدرسي يعد "أحد أهم الوسائل المعتمدة في تكوين الفرد، وإعداده للحياة في المجتمع"[23]. كما "يوجه المتعلم في تعليمه ويعرفه على العالم الخارجي بحشد المعلومات التي يكتسبها عن طريق توظيف خبرته الشخصية التي يكون قد تحصل عليها خلال سجله المطبوع"[24].

أ) **وظيفة المرجع Reference function**: اعتبارها أداة يستند إليها المتعلم في تعلمه، و"وسيلة يرجع إليها التلميذ لاستقاء معلومات محددة مثل البحث عن سنة لحادث معين، كما يحوي المسهلات التقنية والبيداغوجية كفهرس الإعلام، فهرس الأماكن، فهرس الأشكال"[25].

3.1.1.3 وظيفة ثقافية واجتماعية Fonction Cultural and social function: وهاتان الوظيفتان "تتعلقان بكل المكتسبات المرتبطة بالسلوكات والتصرفات التي لها علاقة مع الآخرين، في الحياة والمجتمع عامة، وهذا الكتاب لا يهدف فقط إلى اكتساب المعرفة، أو المعرفة الفعلية لكنه يساهم في تنمية المعرفة السلوكية ومعرفة التصرف، يسمح للتلميذ أن يحدد بالتدريج مكانه في وسطه الاجتماعي أو الأسري أو الثقافي أو الوطني"[26].

من خلال كل ما سبق تترجم وظائف الكتاب المدرسي بالنسبة للمتعلم حسب المخطط الذي حدده Roegiers, X Gérard, F.M (2003)، (أنظر الشكل رقم01 في الأسفل).

برؤية واضحة تحليلية يتضح من خلال المخطط أن للكتاب المدرسي وظائف عديدة، فهو مصدر للمعرفة يعمل على تنمية القدرات والكفاءات، يدعم، يدمج، ويقوم المكتسبات، وهذه: الوظائف علاقتها وطيدة بالنشاطات والأهداف.

2.1.3. الوظائف المتعلقة بالمع"إن المكانة المتميزة التي يحتلها الكتاب المدرسي في العملية التعليمية ضمن واقعنا التربوي والاجتماعي الراهن يحمل المعلم مسؤولية جسيمة إزاء هذا الكتاب الذي يوضع بين يديه ليكون أداة أساسية في تنفيذ المنهاج الرسمي[27]، لهذا فإن وظيفة الكتاب المدرسي المتعلقة بالمعلم مهما كانت هي "وظيفة تكوينية، الهدف منها جلب أدوات تسمح بممارسة أحسن لسيرورة العملية التعليمية–التعلمية، فالكتاب المدرسي يعمل على تنمية التجديد والإبداع البيداغوجي"[28]، وتتمثل هذه الوظائف في:

1.2.1.3 وظيفة الإعلام العلمي والعام Scientific and general information function: إن المدرس لا يستطيع معرفة كل شيء، وخاصة أن "الحياة تتسم بالتعقيد نتيجة للتقدم التكنولوجي الهائل، وقد تبع ذلك تغييرات هائلة إجتماعيا واقتصاديا وسياسيا"[29]، والمعلم لا يستطيع أن يلم بكل هذه المعارف سواء معارف علمية أو عامة فتأتي وظيفة الكتاب بصفة عامة والكتاب المدرسي بصفة خاصة لإعطائه معارف وحقائق تساعده على التدريس، لهذا لابد أن "تواكب أحدث ما وصل إليه العصر من تقدم مع تقديم الشروحات اللازمة لتوضيح الحقائق والمفاهيم ومراعاة توثيق المادة العلمية والإشارة إلى مصادرها"[30]. والمعلم من خلال حوار تلاميذه، بإمكانه التطرق إلى مختلف المعارف.

2.2.1.3 وظيفة التكوين البيداغوجي المرتبط بالمادة الدراسية Function of the pedagogical formation related to the study module: الكتاب المدرسي بإمكانه أن يؤدي أو يقوم بوظيفة التكوين المتواصل والمستمر، لأنه يعطي مجموعة من الأدلة والطرق التي تساعد المعلم على القيام بالبحث والتحري ويكون قادرا على تجديد معلوماته وأسلوبه البيداغوجي، آخذا بعين الاعتبار التطور الدائم للتعليمية، والكتاب المدرسي إذن بالنسبة لعدد لا يستهان به من المعلمين مرشد يعول عليه في تعليم المواد الدراسية وفقا للمناهج المقررة. وهذا من خلال أنشطة تسمح بنمذجة كيفيات التعلم.

3.2.1.3. وظيفة مساعدة للتعلمات وتسيير الدروس Function of helping the instructions and lessons management: "يستطيع الكتاب

المدرسي تزويد المعلم بالكثير من الأدوات والوسائل التي تسمح بتحسين التعلمات يوميا[31]، وبالتالي "يساعد في إعطاء الأمان والطمأنينة لدى المعلم المبتدئ، حيث يوضح الكتاب المدرسي مجالات المقرر الدراسي"[32]. فالتعليم يعتمد على الكتاب المدرسي "وحين لا يتمتع المعلم بما يؤهله للتدريس بكفاية يصبح الكتاب المدرسي دليلا لهذا المعلم وسنده"[33].

4.2.1.3. وظيفة المساعدة على تقويم المكتسبات والمعارف Function of helping in knowledge and acquisitions evaluation: وذلك من خلال "التمارين والتطبيقات المقترحة للتقويم. ومن خلال عرض أساليب التقويم يساعده على تحليل أخطاء التلاميذ وتصحيحها، وتندرج من زاوية تقويم المكتسبات القبلية، والتقويم التكويني والتحصيلي والتي تعتبر طرق علاجية"[34].

من خلال ما سبق تترجم وظائف الكتاب المدرسي المتعلقة بالمعلم حسب الشكل (02، أنظر في الأسفل).

ومن خلال المخطط يتضح أن الوظائف الأربعة المتعلقة بالمعلم، تنظم من خلال المثلث الديداكتي المتعلق بالمعلم والمتعلم والمعرفة.

نستنتج أن الوظائف التي يقوم بها الكتاب المدرسي تجاه المعلم تكملة للوظائف التي يقوم بها تجاه المتعلم، لأنهما يعتبران الطرفان الأساسيان في العملية التعليمية – التعلمية.

2.3. الوظائف التي اقترحها ف. ريشودو Richaudeau, F. (1986) في الكتاب المدرسي: يوضح الباحث هذه الوظائف بإمكانية :" تحليلها إما انطلاقا من أهداف عامة، وإما عن طرق التسيير البيداغوجي.

1.2.3. انطلاقا من الأهداف العامة Basing on general objectives: يمكن تحليل الكتاب من ثلاث وجهات نظر:

1.1.2.3. وجهة النظر الع لا يكتفي الكتاب بتقديم عددا من المعارف، وإنما يقدم من خلالها إيديولوجية كاملة للمعرفة (نوع من التصور للأهمية النسبية للعلوم والتقنيات، نوع من تصور التاريخ، نوع من تصور المقاييس اللغوية التي يجب اختراعها...الخ).

2.1.2.3. وجهة النظر البيداغوجية يعود بنا الكتاب إلى تصور الاتصال بين الكهل والطفل، وإلى الفكرة الموجودة عند الجميع عن نوع من التعلم، (تعلم تكراري أو تعلم مستقل ومبدع...الخ).

3.1.2.3. وجهة النظر المؤسساتية يستند الكتاب إلى تنظيم المنظومة المدرسية.

2.2.3. انطلاقا من طرق التسيير البيداغوجي Basing on pedagogical management Methods: في هذا المنظور يقوم الكتاب بثلاث وظائف أساسية.

1.2.2.3. وظيفة إعلامية (تبليغية إخباري Informative function: مع كل ما تفترضه ذلك من تصنيفات وخيارات، إذ تتطلب اختيار المعلومات، وغربلتها وكذا تبسيطها لتكون في متناول المتعلم، وتطبق على هذه الوظيفة عدة معايير.

2.2.2.3. وظيفة هيكلة وتنظيم التعلم Function of Learning structurization and organization: كل كتاب يفتح نوعا من التقطيع والتدرج (يقترح نوعا من التركيب والتسلسل للوحدات التعليمية لاكتساب المعارف، فهو يهيكل التعليم وينظمه وفق المستوى المعرفي للمتعلم)، يمكنه أن يستعمل التمارين التطبيقية كأداة لمراقبة المعارف المكتسبة، و يمكنه أن يعتبر هذه التمارين نقطة انطلاق لبناء المعارف، ويقترح أمثلة وصورا، إما لشرح عرض سابق، وإما كنقطة انطلاق للملاحظة والتحليل.

3.2.2.3. وظيفة الدليل لفهم العالم الخارجي Function of guidance for Understanding the external world: وأخيرا إن الكتاب المدرسي لا يمكن أن يكون غاية في نفسه، يأتي كدليل للطفل أو الكهل في نظرتهما إلى العالم الخارجي، وبناء المعارف التي يمكن اكتسابها بطرق أخرى، غير طرق المؤسسة التربوية والتحكم في التجربة الشخصية، ويمكن لشكل وبنية الكتاب أن يدمجا تجارب خاصة بالشخص، ويولدا نشاطا حرا ومبدعا"[35].

ولقد وسع هذه الأفكار الباحث إسماعيل المان، وأعطى لها تفسيرا معمقا حيث قسمها إلى:

أ) "**وظيفة تبليغية**وتتطلب اختيار المعلومات في مادة دراسية معينة، وفي موضوع محدد، حيث يكون اكتسابها تدريجيا عبر السنوات المتتالية للمسار الدراسي، كما ينبغي أيضا غربلة هذه المعلومات وتبسيطها لجعلها في متناول تلاميذ مستوى دراسي معين. إضافة إلى ذلك فالكتاب المدرسي يقدم معارف وفق فلسفة معرفية معينة، وإطار تاريخي محدد، ومقاييس لغوية مضبوطة، وهذا ما يجعله صالحا لفترة زمنية معينة دون غيرها، نظرا للتغيرات الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية الحاصلة.

ب) وظيفة تنموية وترتكز هذه الوظيفة على النشاط المعرفي القاعدي (إعادة الصياغة، تقديم امثلة توضيحية مختلفة، تلخيص رسالة أو عرض ملخص شفهي...) ويركز ستيفينار وتورنور Stievenant et Tournneur على تحديد القدرات الأساسية مثل: تعلم التلميذ كيفية معرفة نفسه، وكيفية التحول آخذا بعين الاعتبار الحاجات، وتحديد الأهداف، وتسيير الزمن واكتساب مبادئ النظافة في الحياة اليومية، (غذائية وجسمية) ، العيش ضمن جماعة أو ضمن مؤسسة معينة، تعليم كيفية التصرف.

ت) وظيفة هيكلية وتنظيميةيقترح الكتاب المدرسي نوعا من التوزيع والتسلسل للوحدات التعليمية لاكتساب المعارف، فهو بذلك يهيكل التعليم وينظمه تنظيما بيداغوجيا وفق المستوى المعرفي والعملي للتلميذ بعدة طرائق نذكر منها:

- من التجربة العلمية إلى النظرية.
- من النظرية إلى التمارين التطبيقية واختبار المكتسبات.
- من التطبيقية إلى الإعداد النظري.
- من العرض إلى الصور التوضيحية.
- من الأمثلة والصور التوضيحية إلى الملاحظة والتحليل.

ث) وظيفة توجيهية للكتاب المدرسي دور في توجيه تعلم التلميذ في عملية التلقي والتحصيل، وفي تدبر المعارف المكتسبة بطرائق مختلفة قصد التحكم في الخبرات الخاصة بالتلميذ وذلك بإحدى الطريقتين.

– التكرار والحفظ وتقليد الأمثلة.

– النشاط الأكثر تفتحا وابتكارا للتلميذ، ما يمكنه من استخدام خبراته وملاحظاته الخاصة. ومن جهة أخرى الكتاب المدرسي يعبر عادة عن مفهوم معين للاتصال، وعن العلاقة الرابطة بين الأطفال والراشدين، وبين التلاميذ والمعلمين.

ج) وظيفة ترسييتعلق الأمر بممارسة ما اكتسبناه من معارف عملية في وضعيات مختلفة قصد ترسيخها، لذا نجد بعض الكتب المدرسية تركز أساسا على تحقيق هذا الهدف، بل قد تجعله هدفا وحيدا لها.

ح) وظيفة تقويميةوهي وظيفة لا يمكن الاستغناء عنها في أي تعلم، لأنها تقوّم المكتسبات، فهي بذلك وظيفة تكوينية بالدرجة الأولى، تحدد على ضوئها الصعوبات التي يصادفها المتعلم، وترصد الجوانب التي ينبغي علاجها لتحقيق التطورات المنتظرة منه.

خ) وظيفة إدماجية أي إدماج الكفاءات المختلفة لدى المتعلم، وإعطاء معنى للتعلم بربطه بالواقع المعيشي وتشخيص الصعوبات، والمساهمة في اكتساب ثقافة اجتماعية سلوكية وعلاقاتية، تعد المتعلم لمواجهة متطلبات الحياة[36].

3.3. الوظائف التي أدرجها أ، شوبان Choppin, A (2005): الذي يحدد وظائف الكتاب المدرسي كالآتي:

"إن الكتب المدرسية أشياء (وسائل) أكثر تعقيدا مما نتصوره في الغالب فهي أدوات أولية لتعلم القراءة ويمكنها أن تقوم بأربع وظائف أساسية:

1.3.3. وظيفة مرجعية Referential function: وتسمى كذلك "منهاجية Curriculaire أو برمجية programmatique" ومنذ أن وجدت برامج تدريس، فالكتاب ليس إلا ترجمة وفية للبرنامج.

مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830

المجلد السادس / العـدد:الاول
(ذو القعدة 1443 /جوان 2022)، ص 81–100

2.3.3. وظيفة أدائية Performance function: الكتاب المدرسي يستعمل طرق تعلم، ويقترح تمارين أو نشاطات ترمي حسب الوضعيات إلى تسهيل تخزين المعارف في الذاكرة، وتسهيل اكتساب الكفاءات المتعلقة بالمادة أو العرضية وامتلاك المناهج وطرق التحليل والحل.

3.3.3. وظيفة إيديولوجية وثقافية Cultural and ideological function: وهي أقدم الوظائف منذ القرن 19، فمع نشأة الأمم المتحدة والتطور الذي حدث في المنظومة التربوية اتضح أن الكتب المدرسية هي إحدى الحملات الأساسية (des Vecteurs essentiels) للغة والثقافة وقيم الفئات الموجهة (des valeurs des classes dirigeantes).

4.3.3. وظيفة وثائقية أخيرة Final documentary function: من المفروض أن الكتاب المدرسي أن يقدم مجموعة من الوثائق النصية أو المصورة التي يمكن عند ملاحظتها ومقارنتها أن يطور الفكر النقدي للمتعلم، ولكنه يجب أن نقدم هذه الوثائق دون محاولة توجيه لقراءتها، وظهرت هذه الوظيفة حديثا في الأدب التربوي"[37].

4.3. الوظائف التي أدرجتها وزارة التربية الوطنية بالجزائر(2005/2004):

حذت حذو هذه الوظائف وزارة التربية الوطنية بالجزائر، وتطرقت في مناهجها ودليل الكتاب لمختلف المستويات والمواد الدراسية إلى جملة من الوظائف والتي تعتبر بمثابة شرح لهؤلاء الباحثين، "إذ يضطلع الكتاب المدرسي بالجزائر إلى الوظائف التالية:

- يترجم نوايا البرنامج ومحتوياته إلى جملة من التعلمات قابلة للاستغلال في بناء الكفاءات لدى التلاميذ.
- يقدم التعلمات بشكل متدرج (من البسيط إلى المعقد) ومتناسب مع سن الشريحة المستهدفة، ووفق تسلسل منطقي لتسهيل تطبيقها على ضوء الأهداف المسطرة.
- يوفر الوثائق القاعدية الضرورية لبناء المعرفة (صورا، مخططات، إحصائيات، نتائج تجارب...).

- يقترح وضعيات تمهيدية تسمح بطرح الإشكاليات العلمية، وإثارة فضول التلاميذ لنقص الحقائق العلمية.
- يقترح نشاطات تحتوي على الحد الأدنى من المعطيات وتعليمات تسمح بتجزئة التعلمات إلى نشاطات فكرية وممارسات يدوية.
- يربط مختلف المفاهيم المكتسبة في نهاية كل حصة تعلمية لبناء تصورات شاملة.
- يضمن الكتاب تنمية القدرات الفطرية وتوظيفها لدى التلاميذ وإكسابهم كفاءات جديدة.
- يقود الكتاب المدرسي الطفل إلى اكتشاف وتكوين معرفته.
- يضمن الكتاب تكوين فكري، ثقافي، عاطفي واجتماعي لدى التلاميذ.
- يسمح ببناء مواقف إيجابية عند التلاميذ إزاء مختلف القضايا الاجتماعية والثقافية التي تصادفه.
- ينمي السلوكات التكيفية للتلميذ مع محيطه الاجتماعي ويساعده على تجنب الأخطار وحل المشاكل التي تعترضه.
- مرجعا يرافق التلميذ يعود إليه كلما لزم الأمر، ومرجع للأستاذ كذلك في تحضير الحصص التعلمية[38].

وعلى هذا الأساس **الخصائص الحديثة للكتاب المدرسي**:

- أما الباحث ك، روجيرس Roegiers, X (2008) يحدد مجموعة من الخصائص الحديثة للكتاب المدرسي في ظل المقاربة بالكفاءات لم نعهدها من قبل في ظل المقاربة بالأهداف. والمتمثلة في:
  - "تنظيم وضعيات، المشكلة: لمجابهة التلميذ مع وضعيات معقدة والتي هي منصصة (Contextualisé) أو قريبة من وضعيات الحياة.
  - استغلال الموارد المتنوعة بمنح مسالك ووسائل وثائقية لحل وضعيات – المشكلة.
  - جعل التلميذ أكثر نشاطا، وهذا بهيكلة تعلم يدور حول نشاطات ومهام تسمح له بإنجاز إنتاجات ذات دلالة، ونافعة إن أمكن.

- تنظيم وضعيات تفاعل (Situation d'interaction) بين التلاميذ لإحداث صراعات اجتماعية – ذهنية (Les conflits socio-cognitifs).
- دفع التلاميذ للتفكير في نشاطهم (action) بدعوتهم للتفكير في الموارد المجندة لإنجاح هذا النشاط وكذا في تأثيراته وشروطه.
- مساعدة على التقويم المركز حول التلميذ، بإشراكه في تقويم تعلماته وإنتاجاته.
- دفع التلميذ إلى هيكلة مكتسباته الجديدة بهدف الإدماج والتحويل.
- حث التلميذ على دمج موارده الشخصية بتكليفه بمهمات تدفعه إلى إقامة علاقات بين مختلف الأشياء المتعلمة لاستعمالها فيما بعد.
- ترمي إلى البحث عن الدلالة في كل تعلم، واستثارة وضعيات الحياة المهنية الاجتماعية أو الشخصية، يستطيع فيها التلميذ تجنيد معارفه، وحسن التصرف فيها وموارد أخرى.

إن هذه الخصائص كلها ليست موجودة اليوم في الكتب المدرسية، لكنها تمثل تحديا يواجه اليوم كل مصممي (Concepteurs) الكتب المدرسية.

من هنا نستنتج أن الكتب المدرسية المهيكلة بمقاربة الكفاءات تتبنى عدة مداخل متمثلة في تقديم: وضعية مشكلة، نص، رسم، أسئلة... فبعض الكتب اليوم تعد أدوات شخصية للعمل وإنجاز النشاطات والإنتاج، الأمر الذي يؤدي إلى تعلق التلميذ بكتابه من جهة والاهتمام به وحب المطالعة[39]، كما يوفر "خلفية مشتركة بين المعلم وتلاميذه، ما يساعد على إثارة المناقشات بأسلوب يحقق الفهم لديهم، إنه الحليف الأول للمعلم والمرجع الذي يستخدمه المتعلم أكثر من غيره من المراجع"[40]، ويقدم الكتاب المدرسي للمدرس والتلاميذ "إطارا عاما للمقرر الدراسي كما تصوره واضعو المناهج محققا للأهداف المرغوب فيها"[41]، إنه يسهل للمعلم تحديد كفاءات كل درس وانتقاء الوسائل التعليمية المناسبة، وطرق التدريس وتعمل على تثبيت المعلومات لدى التلاميذ وتنظيمها.

4. خاتمة:

نستخلص مما سبق أن "وظائف الكتاب المدرسي أعمق من التي كانت من قبل إذ أنها وظائف قائمة ومبنية على أساس قيادة التعلم نحو تأسيس روابط بين مختلف المواد من ناحية، وربط هذه المواد بخبراته وقيمه ومهاراته وواقع مجتمعه من ناحية أخرى، إن هذه الوظائف المختلفة والمتكاملة في نفس الوقت، ستساهم لا شك في إدماج مختلف الكفاءات التي تم تحديدها في المنهاج"[42].

وعلى هذا الأساس الكتاب المدرسي ركن من أركان العملية التعليمية – التعلمية، ووسيلة لتقديم الحقائق بطريقة منظمة للمتعلم والحصول على معرفة خاصة بمادة معينة ومكيفة حسب خصوصيات سن ومستوى الجمهور المقصود.

5. الأشكال والرسومات البيانية

شكل رقم (01): يبين مخطط وظائف الكتاب المدرسي المتعلقة بالمتعلم.

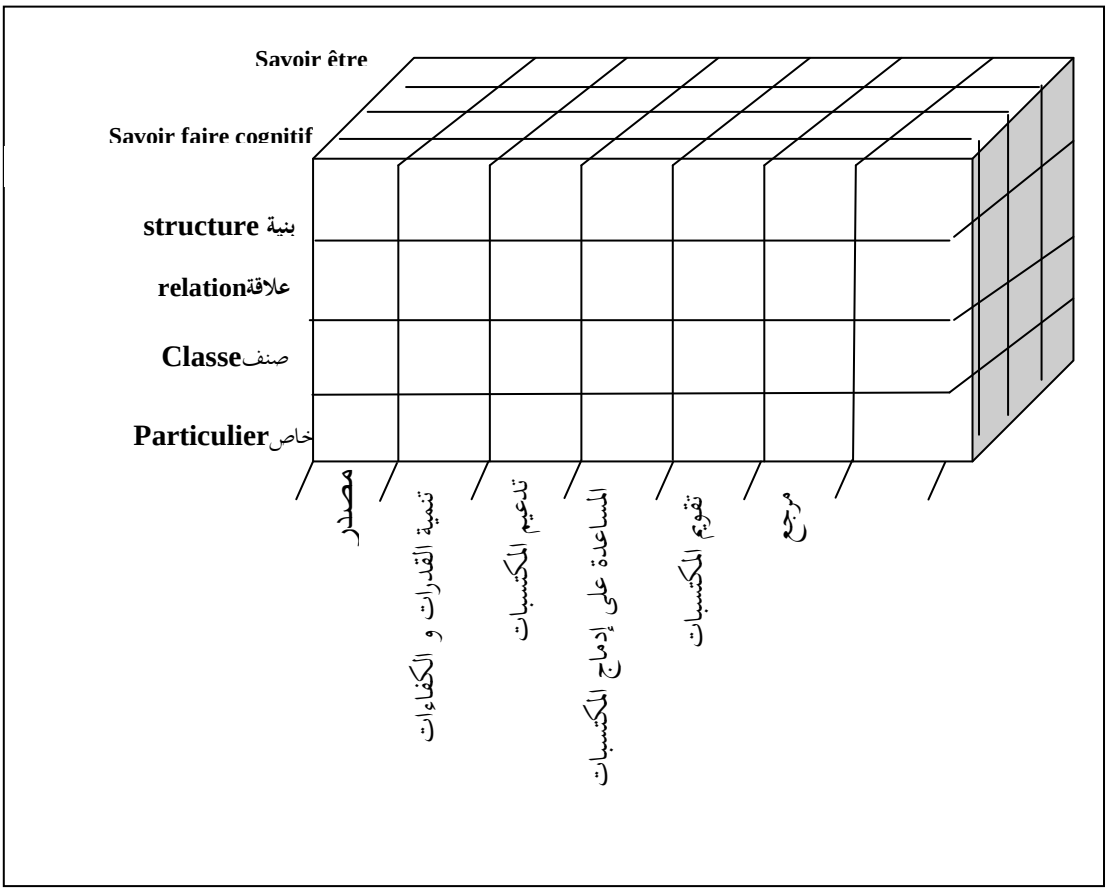

مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830

المجلد السادس / العـدد:الاول
(ذو القعدة 1443 /جوان 2022)، ص 81–100

شكل رقم (02): يبين مخطط وظائف الكتاب المدرسي المتعلقة بالمعلم

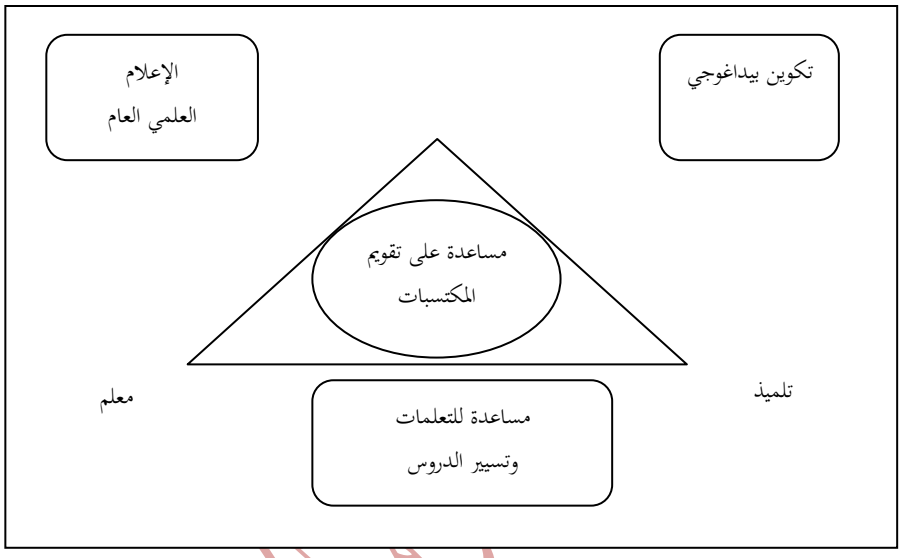

الهوامش:

[1] منصور بن عبد العزيز سلمة، إبراهيم بن أحمد مسلم الحارثي، المرشد في تأليف الكتاب المدرسي ومواصفاته، بدون طبعة؛ الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، 2005، ص35.

[2] عبد الحافظ محمد سلامة، الوسائل التعليمية والمنهج، ط2؛ الأردن: دار الفكر، 2005، 160.

[3] حسين أحمد مراشدة، تقويم كتاب التربية الوطنية للصف التاسع من مرحلة التعليم الأساسي في الأردن، مجلة جامعة دمشق، المجلد 29، العدد الأول، 2007، ص235.

[4] منصور بن عبد العزيز سلمة، إبراهيم بن أحمد مسلم الحارثي، مرجع سابق، ص40.

[5] أحمد أنور عمر، الكتاب المدرسي، بدون طبعة؛ المملكة العربية السعودية، الرياض: دار المريخ، أفريل 1980، ص25.

[6] أبو الفتوح رضوان ، الكتاب المدرسي: فلسفته، تاريخه، أسسه، تقويمه، استخدامه، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1962، ص9-10.

[7] عبير راشد عليمات، تقويم وتطوير الكتب المدرسية للمرحلة الأساسية، ط1؛ عمان: دار الحامد، 2006، ص23.

[8] توفيق أحمد مرعي، محمد محمود الحيلة، المناهج التربوية الحديثة: مفاهيمها وعناصرها وأسسها وعملياتها، ط1؛ عمان: دار المسيرة، 2000، ص335.

[9] منصور بن عبد العزيز سلمة، إبراهيم بن أحمد مسلم الحارثي، مرجع سابق.

[10] Johanne Lebrun et autres, Le matériel didactique et pédagogique : soutien à l'appropriation ou déterminant de l'intervention éducative, Canada : Les presses de l'Université Laval, 2ème trimestre 2006, P34.

[11] François Marie Gérard, Xavier Roegiers, Des Manuels scolaires pour apprendre, concevoir, évaluer, utiliser,2 me édition : Bruxelles : De Boeck, 2003, P84.

[12] عبد الله الرشدان، نعيم جعنيني، المدخل إلى التربية والتعليم، ط1؛ دار الشروق الجامعة الأردنية، 1997، ص317.

[13] François Marie Gérard, Xaviers Rogiers, (2003), Op.cit, P84-85.

[14] François Marie Gérard, Xaviers Rogiers, (2003), Op.cit, P63-65.

[15] Ibid, P86.

[16] François Marie Gérard, Xaviers Rogiers, (2003), Op.cit, P89.

[17] أبو الفتوح رضوان، المواد الاجتماعية في التعليم العام، بدون طبعة؛ دار المعارف، 1985، ص210.

[18] Jean. Marie De Ketele, Xavier Roegiers, Méthodologie du recueil d'information, Bruxelles: De Boeck, 1991, P43-44.

[19] Pierre Rossano, et al, Guide pratique de l'évaluation à l'école, pédagogie pratique, Paris: Retz, 1993, P05.

[20] وزارة التربية الوطنية، 2003، ص 32.

[21] Xavier Roegiers, Une pédagogie de l'intégration, avec la collaboration de Jean Marie de Ketele, 2ème édition; De Boeck université, 2001, P22.

[22] Xavier Roegiers, Op.cit, P23.

[23] François Richaudeau, Conception et production des manuels scolaires, guide pratique, UNESCO, 1986, P53.

[24] François Richaudeau, Op.cit, P59.

[25] François Marie Gérard, Xavier Roegiers, (2003), Op.cit, P91.

[26] François Marie Gérard, Xavier Roegiers, Des Manuels scolaires pour apprendre, concevoir, évaluer, utiliser, 1ère édition : Bruxelles : De Boeck 1993, P73.

[27] الجامعة التونسية، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، الكتاب المدرسي والنظام التربوي، سلسلة علوم التربية، تونس: المطبعة العصرية، 1986، ص183.

[28] François Marie Gérard, Xavier Roegiers, (2003), Op.cit, P99-100.

[29] ريتشي، التخطيط للتدريس، تر مُحَمَّد أمين المفتي، زينب علي النجار، ط3؛ القاهرة: الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، 2000، ص52.

[30] حسن شحاتة، مفاهيم جديدة لتطوير التعليم في الوطن العربي، ط1؛ مكتبة الدار العربية للكتاب، 2001، ص62.

[31] François Marie Gérard, Xavier Roegiers, (2003), Op.cit, P101.

[32] سليمان محي الدين فتوح، مُحَمَّد مُحَمَّد شركس، كيف تكون معلما ناجحا في الدراسات الاجتماعية، مصر: مكتبة زهراء الشرق، 1997، ص 116.

[33] عبير راشد عليمات، مرجع سابق، ص30.

[34] François Marie Gérard, Xavier Roegiers, (2003), Op.cit, P102.

[35] François Richaudeau, Op.cit, P53-55.

[36] إسماعيل إلمان، الكتاب المدرسي تربية وصناعة، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، قسم علم تعليم العربية وتعليم اللغات المقارن، الكتاب المدرسي في المنظومة التربوية الجزائري واقع وآفاق، أعمال الملتقى الوطني المنظم بالجزائر يومي 24-25 نوفمبر 2007، جوان 2008، ص297-299.

[37] Eric Bruillard, Manuels scolaires, regards croisés, Base Normandine: CRDP, 2005, P30-40.

[38] ديلمي بلقاسم، وعناني بلعيد، دليل كتاب مادة العلوم الطبيعية والحياة، السنة الثانية من التعليم المتوسط، إشراف سويسي حسينة، وزارة التربية الوطنية، 2004-2005، ص05.

[39] مُحَمَّد عبد العزيز، الكتاب المدرسي ووظائفه التعليمية والتعلمية، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية قسم علم تعليم العربية وتعليم اللغات المقارن، الكتاب المدرسة في المنظومة التربوية الجزائرية واقع وآفاق، أعمال الملتقى الوطني المنظم بالجزائر يومي 24 و25 نوفمبر 2007، جوان 2008، ص271-272.

[40] جودت أحمد سعادة، عبد الله مُحَمَّد إبراهيم، المنهج المدرسي المعاصر، ط4؛ الأردن: دار الفكر، 2004، ص275-276.

[41] أحمد حسين اللقاني، برنس أحمد رضوان، تدريس المواد الاجتماعية، ط4؛ القاهرة: عالم الكتب، 1986، ص79.

[42] فريد حاجي، الكتاب المدرسي وبيداغوجيا الإدماج، مجلة المربي، المركز الوطني للتوثيق التربوي، عدد 3، يناير-فبراير 2005، ص10.